د. فهمى الشناوى

المسلمون وعقدة التكنولوجيا



المسلمون وعقدة التكنولوچيا

د. فهمى الشناوى



للنشر والتوزيع والتصدير
١٦ شارع كامل صدقى - الفجالة - القاهرة
ت ٥٩١١٣٧١ - فاكس ٥٩١١٣٧١ - ص.ب ١٧٠٧ القاهرة

مقدمة

نحن فى عصر حلت فيه العلمية محل الإيديولوجية وأصبح العلم هو المرجع لا الايديولوجية وستصبح الايديولوجيات المعاصرة قريبا اسطورة من أساطير الماضى .

وهذا التطور هو تطور طبيعى وفسيولوجى بعد ما ثبت تخلف وسقوط الايديولوجيات المعاصرة عن تحقيق أمل وحاجة المجتمع البشرى .

ولن يتبقى من الايديولوجيات ولا الفلسفات المختلفة إلا الدين فقط .

قد تتغير الصورة التى يطرح بها الدين على الناس . فالميتافزيقا قد يحل محلها علم الاجتماع باعتبار الميتافزيقا من تخيلات عقل الإنسان بينما علم الاجتماع هو استقراء للطبيعة .

ولقد كانت الايديولوجيات أيضا من مشطحات عقل الإنسان عندما يخلو بنفسه أو ينفعل بمعنى معين أو كرامة مستثارة ولم يكتشف

الإنسان ضيق مساحة الايديولوجيا عامة إلا عندما استقرأ الطبيعة واتساعها اللا نهائى .

هذا الاستقراء للطبيعة لم يتم ولا يتم إلا بالعلم ولا يسخر الإنسان الطبيعة لخدمته إلا بالتقنية .

اليوم يكتشف الإنسان المعاصر أن الايديولوجيات سجن ضيق خانق وأن الطبيعة هى عالم حر واسع لا نهائى . وإذا كان استقراء الطبيعة واكتشافها هو بعينه عملية العلم أو أن العلم ما هو إلا استقراء الطبيعة أفقا وراء أفق حيث لا تنتهى أفاقها فإن هذه العملية فى حد ذاتها ورد بخصوصها ٧٥٠ آية من القرآن الكريم وهو تقريبا $\frac{١}{٨}$ القرآن .

واستكشاف الطبيعة فى النهاية يؤدى إلى استكشاف خالق الطبيعة ، وهو لا يمكن ابصاره مباشرة لأن حواس الإنسان تصعق. ولكنه يستكشف عن بعد وبالغيب عن طريق استكشاف الطبيعة . واستكشاف الطبيعة هو العلم . فالعلم ليس إلا معرفة أو استكشاف الطبيعة .

وبمجرد أن يستكشف الإنسان الطبيعة يبدأ استغلالها. فهذه الطبيعة كلها لم تخلق الاله وفى خدمته . واستغلالها هو التقنية ، وهناك موقفان إزاء الطبيعة إما استغلالها وإما عدم استغلالها . فأما استغلالها – وهو ما يسميه القرآن – تسخيرها فهو تسبيح بفضل الخالق إذ يلمس الإنسان فضلا متجددا يعود عليه بعائد لا يسعه إلا

الإقرار بفضل صاحب هذا الفضل . وأما عدم استغلالها فهو عدم شكر لصاحب الفضل وينتهى عمر الإنسان وقد استغلته الطبيعة بدل أن يستغلها .

من هنا كان العلم عبادة لأنه اقتراب إلى الله يمكن من رؤيته .

ومن ثم كانت التقنية هى جنى زائدة تستوجب الشكر للخالق .

وهذه هى رسالة الإسلام ، معرفة الله ثم شكره والتسبيح به وبفضله .

إن رجال السياسية والاقتصاد فى العالم الثالث منشغلون الآن بوضع نظام اقتصادى جديد والعالم الإسلامى يشكل غالبية هذا العالم الثالث وواجب عليه ألا تفوته هذه الفرصة لجعل الإسلام أساسا لهذا النظام .

إن التكنولوجيا وحدها هى القادرة على تهيئة أساس متين للنظام الاقتصادى الذى يبحث عنه العالم الثالث بما فيهم المسلمون .

وهذه نقطة هامة جدا فى تشكيل تاريخ البشرية ،

فلو راجعنا التاريخ سنجد أنه ابتداء من القرن ١٣ ميلادى كان المسلمون قد كفوا عن الاهتمام بالتكنولوجيا وكان الغرب رغم أنه بالكاد يتتلمذ على المسلمين – لكنه كان قد بدأ اهتمامه بالتكنولوجيا .

وهنا حدثت المفارقة المذهلة . فكر ستوفر كولمبس فى القرن الخامس عشر ما لبث أن اكتشف الأمريكتين وفاسكوديجاما اكتشف

طريق رأس الرجاء الصالح ليأخذ تجارة العالم بعيدا عن بحار المسلمين البحر الأبيض والبحر الأحمر .

وهكذا فجأه صفى الغرب حضارة الإسلام فى الأندلس وصفى حضارة الإسلام حول البحرين الأبيض والأحمر واكتشف وعمر الأمريكتين واستراليا وأفريقا جنوب الصحراء ووصل إلى ما وصل إليه الآن من سيطرة بلا شئ إلا التكنولوجيا .

لو أن مسلمى القرن ١٥ اهتموا بالتكنولوجيا ولو بنفس القدر الذى اهتم به الغرب لكانت حضارة الأمريكتين اليوم إسلامية بالكامل .

ولكن البيت الإسلامى تقوض وانهار رغم أنه ظل فيه التعليم العالى قاصرا على تدريس الشريعة والتعليم العام قاصرا على دراسة القرآن .

وهكذا نصل إلى حقيقة يجب أن نعترف بها وهى أن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن . فالقرآن يبنى الذات والسلطان يبنى خارج الذات . وكل المطلوب هو أن يكون هذا الامتداد خارج الذات مبنيا على أساس أخلاقى يخدم الذات ولا يدمرها والاكتفاء عند مرحلة بناء الذات فقط خشية أن تكون مرحلة الامتداد خارج الذات مؤديه إلى تدمير الذات أو تلويث البيئة أو إقامة مجتمع للشر هو اشبه بالتوقف عند مرحلة التعليم الأولى وعدم الانتهاء من مراحل التعليم كلها الثانوى والجامعى .

فالإسلام مطالب بتحرير الذات ثم بالانتشار خارج الذات إلى الطبيعة ولا يكتمل الإسلام بغير السيطرة على الطبيعة اكتفاء ببناء الذات فقط .

فلعل الإسلام يستفيد من نكسته عندما اهمل التكنولوجيا .

وإذا استفاد فعلا فسوف يظل هذا الدرس فى وعيه إلى نهاية التاريخ ويعوض ما فاته فى القرون الأربعة الأخيرة . ويعتبر أنه تعلم درسا من تخلف أو غفوة دامت ٤ قرون .

وكل المطلوب ممن يركز فهمه للإسلام على العلوم الدينية دون الدنيوية أن يتذكر أن الحث على الشريعة شمل ٢٥٠ آية والحث على الطبيعة شمل ٧٥٠ آية من القرآن .

الأمة الإسلامية هى أمة العلم :

فى القرآن الكريم ٢٥٠ آية عن التشريع والقوانين و ٧٥٠ آية عن النظر فى الكون أى العلم . أى أن $\frac{١}{٨}$ القرآن عن العلم والرسول يقول العلماء ورثة الأنبياء . وعندما قال أطلبوا العلم ولو فى الصين كان يقصد العلم بالطبيعة لأن الصين لم يكن فيها علم بدين من الإسلام بعد . والمسلمون يطلقون على الشيخ عندهم لفظ عالم توقيرا له بنسبيته إلى العلم وإذا كان العلم هو تراث البشرية كلها من كافة الأديان إلا أنه تأتى دورات يسود جنس ما فى دورة ما . فاليونان من أرسطوا إلى

أرشميدس سادوا فى فترة أولى ثم جاء علماء الصين فسادوا فى فترة ثانية . ثم جاء علماء الإسلام فسادوا أطول فترة فى التاريخ تمتد من ٧٥٠ م إلى ١٧٥٠ م أى حوال الف عام . ويحق إذن أن نسميهم « أمة العلم » ونقصد هنا فترة العلم التطبيعى . أما العلوم الدينية فكانت فى الفترة من ٦٥٠ م إلى ٧٥٠ م وحققوا فيها أسرع وأوسع انتشار لأى مذهب فكرى أو دينى . لم يحققوا هذا التوسع الفجائى السريع إلا لأنهم اقنعوا الناس ذهنيا بنظريتهم وجد الناس فيما يقول به المسلمون مسيحية حقيقية ويهودية حقيقية كانوا بالفطرة يتشوقون إلى معرفتها على أصلها . ومن هنا قيل أن الأنبياء كلهم من أول آدم إلى محمد مسلمون . ولم يفعل الإسلام أكثر من أن يكشف لهم هذا . فالرسالة المحمدية محورها هو البحث العلمى عن الحقيقية وطرح الحقيقة إلى البشر كافة .

فالعلم إذن سواء علم نظرى أو علم تطبيقى هو مهمة هذه الأمة ورسالتها ووظيفتها .

والقرآن يصف العلم بالتفكر أى التفكير . والتفكير لا يتوقف عند حدود العلم الدينى بل يتعداه أيضا إلى العلوم الدنيوية .

والقرآن يصف التكنولوجيا بلفظ التسخير . ﴿ **سخرنا له الرياح** ﴾ ﴿ **والنا له الحديد** ﴾ . يعنى وسائل تكنولوجيه استغلت طاقة الرياح ووسائل تكنولوجية الانت الحديد وشكلته .

ما ان نزل القرآن يأمر بالعلم والتكنولوجيا حتى انتابت المسلمين حمى العلم والتكنولوجيا . فترجموا كل كتب العلم والتكنولوجيا الموجودة عند اليونان والصينين . بعد حُمّى العلم انتابتهم حمى التعمّق فى البحث العلمى ذاتيا . فأنشأوا بيت الحكمة . ثم بعد ذلك أنشأوا الجامعات حتى يخرجوا العلم من صومعات العباد إلى جمهرة الناس . وجميع مساجد المسلمين من الأزهر إلى السلطان حسن إلى غيرها تبين فى هندستها وجود مدن جامعية داخل المسجد للتلاميذ والطلاب .

وكان هناك سمة مميزة فى فترة الألف عام العلمى من تاريخ المسلمين هى أن المشروع العلمى لم يكن خاضعا للدولة . كان خاضعا لأوقاف وهبات وعطايا تطوعية من الشعب نفسه . فالعلم ومراكز العلم لم تخضع أبدا فى الفترة المشرقة للسياسيين ولا للحكام ولا للدولة . إنما كانت خاضعة للشعب ومن ثم بقيت إلى اليوم مثل الأزهر ومثل مستشفى قلاوون للعيون وآلاف غيرها .

وكان للعلم أمة مستقلة فوق الحكام والساسة . كانت أمة العلماء هذه لها حماية دبلوماسية معترف بها من كل الدول والحكومات والحكام . فمثلا ابن الهيثم انتقل من عند الخليفة العباسى أى من البصرة إلى خصمه ومنافسه المصرى الحاكم بأمر الله فى القاهرة دون أن يمس له طرف . والأئمة الشافعى والثلاثة الآخرون تنقلوا دون أى مضايقة وكان العلماء يتنقلون بين الدول الإسلامية حتى وهى تتحارب فلا يؤسرون ولا يستجوبون .

ويعود هذا إلى استقلال العلماء ماديا عن الدول وعن الحكام واعتمادهم على الأوقاف الأهلية .

المسلمون من أمة العلم إلى أمة معدمة :

أصلا ممارسة العلم والتقنية وتعلمها والصرف عليها عبادة من صميم الدين الإسلامى ولها ثوابها . واخطأ المسلمون يوم أن اعتبروها فرض كفاية لا فرض عين . ولا يقلل من الخطأ أن نقول الآن أن فرض كفاية يعنى وجود مقدار من العلم وعدد من العلماء يناظر أو يفوق المقابل له فى دول الغرب . ونطالب بالوصول إلى هذه النسبة . لأننا كما قلنا هذه أمة العلم . وبالعلم وحده جعلناكم شهداء على الناس . وإلا فما هو المبرر لأن نكون على الناس شهداء ؟

اعتبار العلم فرض كفاية أدى إلى أن أصبحنا أمة معدمة ومظاهر العدم هى :

نسبة علماء المسلمين مقارنة بعلماء الغرب لكل مليون من السكان هى ١/١٠٠ مما يجب . وينفق على البحث العلمى ٣ فى الألف بينما ينفق الغرب ٣ فى المائة . ونستهلك علما ينتجه لنا غيرنا وبالتالى طعاما ينتجه لنا غيرنا وسلاحا ينتجه لنا غيرنا . وحتى علماؤنا والعقل المتفوق منا يهاجر إلى الغرب . فأصبح العقل المتفوق والمال والمادة الخام تصب فى الغرب . (نصف الأطباء المهاجرين إلى أمريكا عرب وربع المهندسين المهاجرين إلى أمريكا عرب مما يوفر لأمريكا ٢ مليار فى العام فى ذات

الوقت الذى يهاجر العلماء المسلمين إلى الغرب (نصف مليون علمى مسلم يهاجر كل عشر سنوات إلى الغرب) نجد أن الأنماط العلمية عند المسلمين كلها مستوردة . والعلميون الذين لا يهاجرون يعانون ماديا ومعنويا لكى تدرك أننا أمة معدمة نقول أن نسبة العلميين فى بنجلاديش ٢٠ فى المليون بينما هى فى دول الكتلة الشرقية ٨٢٠٠ فى المليون وفى مصر وهى أعلى مستوى نسبة العلمين إلى أمريكا إلى ١٠٠ فإذا عرفت أن التقنيه تتضاعف كل ٣ سنوات والعلم يتضاعف كل عشر سنوات فمعنى ذلك أن هذه الفجوة بين ٢٠ ، ٨٢٠٠ سوف تتضاعف أكثر وأكثر .

ثم أن هناك مجالات كاملة لم يدخلها المسلمون بعد وهى الذرة والإلكترون والحواسب والفضاء وهندسة الجينات نتج عن هذا الأهمال للعلم والتكنولوجيا لإعتبارهما فرض كفاية لا فرض عين إن كل الدول الإسلامية فيما عدا النفطية تعيش تحت الحد الأدنى للكفاف . وفيها أكبر شبه أمية فى العالم كله حتى العالم الثالث .

والمأساة أن هذه الأمة المعدمة حاليا هى أكبر تجمع بشرى على سطح الأرض تربطه عقيدة واحدة ومتميزة لأن الأيديولوجيات الآن لا تغنى ولا تذر أمام العلم والتكنولوجيا . وهذا التجمع البشرى يغطى مساحة أربعين مليون كيلو متر مربع و ٤٠٠ مليون فدان منزرع . وأربعة الآف مليون فدان قابلة للزرع ويملكون معظم مضايق البحار والمحيطات وعندهم ٧٥٪ من احتياطى النفط فى العالم و ٥٠٪ من يورانيوم العالم و ٢٥٪ من الغاز الطبيعى فى العالم كله

وعندهم ٢٣٤ جامعة و ٣٣٥ معهدا عاليا و ٩٠٠ مركز بحث علمى و ٣٠ مليون طالب جامعى .

ومع ذلك كله يستجدون الخبز ويعود هذا إلى سببين أولهما هو تفتت هذه الأمة إلى ٥٣ دولة مما يجعل كل دولة عاجزه بمفردها عن القيام بأى تقدم علمى أو تقنى وبالتالى أى تنمية لأن أداة التنمية هى التقنية . وأما السبب الثانى فهو الطبقية العنيفة بين العلميين المسلمين . ففى الوقت الحالى تؤثر فيه جامعات النفط البذخ على أن تعاون الجامعات الفقيرة .

هذا كله يتم فى وقت زرع فيه الغرب إسرائيل كأكبر ترسانة للتقنية المتقدمة والمعقدة داخل جسم هذا الكيان المعدم . هذا فضلا عن أن الغرب نفسه يملك ١١ ألف رأس نووى فى أمريكا وتسعة آلاف فى روسيا . مما يهدد العالم الإسلامى بالفناء فى لحظة واحدة .

حتمية التكنولوجيا للحضارة الإسلامية :

التقنية بالنسبة للإقتصاد هى جوهر الاقتصاد فى المستقبل . لأن التقنية هى تطبيق العلم على الاقتصاد . بدلا من تطبيق الإيديولوجيا الشيوعية أو الرأسمالية .

ويبدأ تطبيق التقنية فى الزراعة قبل الصناعة باعتبار أن الزراعة هى افراز من الطبيعة ثم تأتى إلى الصناعة باعتبارها إفرازاً من الإنسان . وتحقيق سيطرة الإنسان على الطبيعة هى هدف كل حضارة .

والتقنية بالنسبة للعلم تسبقه فى الدخول إلى الإنتاج ثم تجره إليه . ثم هى تتعداه وتطالبه باللحاق بها فى عملية السيطرة على الطبيعة .

والتقنية اجتماعيا تؤدى إلى إزدياد الطلب على السلع وازدياد عمر الإنسان وازدياد راحة الإنسان والتقدم الاقتصادى يزيد الطلب على التقنية . فالتقنية تزيد الاقتصاد والاقتصاد يزيد التقنية . هكذا حلقة مفرغة .

والتقنية عملية مرحلية متصاعدة . تبدأ بتقنية بسيطة ثم متطورة . ويمكن البدء بأيهما دون ضرر، فالدول النفطية يمكنها البدء بالتقنية المتطورة والدول الفقيرة يمكنها البدء بالتقنية البسيطة .

قضية مترتبة على التقنيه : القضية هنا هى عملية نقل التقنية . لو نقلت التكنولوجيا الغربية كما هى كان هذا مجرد إنعاش لاقتصاد الغرب المتطور وإفقار لنا نحن . إنما يجب تعريب التقنيه أو أسلمتها كما فعلت الصين واليابان وكوريا وتايوان والهند .

أى أن تكون تقنيه من الداخل تصمم من الداخل وتنفذ من الداخل وبأيدى داخلية محلية ووفق الاحتياجات المحلية . وإذا بدأت تقليدا أو نقشا فلابد من تحسينها ثم استقلالها .

غرضنا من التقنية : نحن فى شرق الكرة الأرضية معتادون على العمل المنظم الدؤوب الصبور الذى يؤدى إلى إنتاج ضخم بأقل الإمكانيات . فالسخرة هى التى بنت سور الصين العظيم وأهرام مصر

وقناة السويس . فالسخرة نظام اقتصادى شرقى يمثل الدأب المستمر بالجهد دون نظر إلى عائد فردى . وهذا نمط من الاقتصاد يختلف عن اقتصاد الغرب ذات العائد السريع على العامل . وهنا فى الشرق ستكون التقنية هى كفاءة الإنتاج . هى وسيلة لإنتاج العمل على أحسن وجه . لأن الإنتاج يساوى جهد العمل مضروبا فى كفاءته .

التقنية سلاح ذو حدين : التقنية رهان نهائى على تقدم أو تأخر . تقدم لو أدركنا حقيقتين أولاهما أن اقتصادنا مختلف عن اقتصاد الغرب كما بينا فى أمثلة سور الصين والأهرام وقناة السويس بينما اقتصاد الغرب قائم على الاستهلاك واللذة **وثانيهما** أن مجرد استيراد التكنولوجيا الغربية كما هى ستكون عامل محتم فى التقدم التقنى الأجنبى وفى تغييب الذهنية والتقنية المحلية وبالتالى يتبع القرار السياسى عندنا النفوذ الأجنبى للغرب . فتكون التقنيه عامل تأخر لو توقفنا عند الاستيراد وعامل تقدم لو جعلناها تقنيه ذاتية وخاصة وتتمشى مع الدأب المستمر .

المعادلات الإسلامية عن العلم والتقنيه

إن موضوع القرآن هو الإنسان . على اعتبار أن الإنسان هو خليفة الله على الأرض . وموضوع الإنسان هو اعمار وتعمير الأرض . وموضوع الاعمار والتعمير هو العلم والتقنيه . ونسبة التقنيه إلى العلم هى أنها تطبيق العلم على العمل . فهى حاف الموسى الحادة للعمل . وما هو علم الآن هو تقنية فى الغد .

فالاعمار والتعمير هو التنمية كما نسميها اليوم . ومستحيل أن يتم انتاج بغير تقنيه وبالتالى فلا تعمير بغير تقنيه .

فالتقدم العلمي من ضرورات الوجود الإنسانى على الأرض .

لأنه بغير تقدم علمى وتقنى مستمر يتوقف الإنتاج عند حد محدود . ويأكل الإنسان ويستهلك كل إنتاجه ثم يعيش الإنسان المتخلف علميا عالة على الإنسان المتعلم . بغير العلم والتقنيه يتحول الإنسان المنتج أصلا إلى كائن مستهلك يحمل لقب إنسان سابقا .

وأى شراء يأتى عن غير طريق العمل وبالتالى من غير إنتاج وبالتالى من غير تقنيه ذاتيه محلية مستقلة يؤدى إلى طبقية مرعبة . ثراء إلى حد البطر عند من أصابهم الحظ وفاقة إلى حد العدم عند الآخرين . ومن هنا تحدث انقلابات وانقلابات مضادة بين الطرفين . ونتيجة هذه الانقلابات أن يهرب المال إلى بنوك الدول الكبرى . فكل الأموال النفطية سلكت هذا السبيل : بينما أن المال المنتج من الجهد أى من التقنيه المحلية إنما يتكدس محليا . ولما كان العلم لا وطن له فإنه ينتشر ولا تظهر هذه الطبقية فالعدل الاجتماعى لا يتم إلا فى مجتمع علمى تكنولوجى وتموت العدالة الاجتماعية فى مجتمع الحظ والنفط . فإذا أردنا أن نضع معادلة رياضية نستطيع أن نقول أن :

القرآن يربى إنسانا . والإنسان يربى تعميرا . والتعمير عبارة عن علم + تقنيه + إدارة عصرية ، وبغير هذا لا يكون القرآن قد استوعب ولا فهم عمليا .

فمن يقولون بالإعجاز العلمى للقرآن مكتفين برد أى اكتشاف علمى أو تقنى إلى إيماءة له فى القرآن إنما يقدمون دليلا على تخلف المسلمين . دليل إدانه واتهام ليس إلا . لأنه لو لم يكونوا متخلفين ما انتظروا حتى يكتشف غيرهم ما ورد فى كتابهم الموجود بين أيديهم . إنهم ناموا وغيرهم تيقظ .

وكذلك من يقولون بأسلمة العلوم إنما هو قعود عن الإنجاز اكتفاء بأن ينجز غيرك عنك ثم تمسلم أنت ما أنجزه . أو على الأقل يجب ألا تغنى أسلمة العلوم هذه عن إنجاز علوم جديدة وتقنيه جديدة . أى أن الإنجاز العلمى واجب دينى على المسلمين لا يغنى عنه القول بأن القرآن فيه كل ما أنجزه العلم ولا يغنى عنه رد إنجازات غير المسلمين إلى أصول إسلامية .

بقيت هناك معادلة عسيرة بين العلم والحكم . أو بين الثقافة والسياسة . حيث تؤدى السياسة إلى بعثرة العلميين والمتقنين واغترابهم إلى خارج الوطن أو إغترابهم داخليا . اغتراب خارجى يشمل كل عام ٥٠ ألف عالم مسلم يوفرون على أمريكا ٢ مليار دولار سنويا . واغتراب داخلى باهمالهم ماديا ومعنويا وتمييز الأجانب وغير المسلمين عليهم ومعاناتهم من الطبقية العنيفة مع بلاد النفط ومع الطبقات الجديدة الهابطة ويعانون من الاهمال العلمى وإنكارهم حقهم على السلطان .

التنمية الإسلامية فى حاجة إلى التكنولوجيا

التنمية فى المفهوم الإسلامى تختلف عن التنمية فى المفهوم الغربى . فى المفهوم الإسلامى سمو التصرفات يحل محل المادية أو مايسمونه الدنيوية أو العلمنة أو العلمانية .

وطريقة ذلك هى إحياء الدين فى التصرفات جميعها . وهو ما يعتبره الغرب رجعية . بينما هو فى الإسلام أمر مأمور . « **إن الله يأمر بالمعروف وينهى عن البغى** » . فمن الإسلام إذن يتوقع كل فرد أن يجد العدل محليا وقوميا ودوليا فى حين لا يتوقع من الغرب إلا المصلحة . ومن الإسلام يتوقع كل فرد وضع قائم على أصول معلنة لا عن تقلبات المال والسياسة . فمهمة التنمية فى الإسلام مهمة صعبة جدا لأنها تستلزم ترقية تصرفات الشخص ذاته حاكما كان أو محكوما مع نفسه وأهله وخصومه . بحيث تكون هذه التصرفات مطابقة لقانون الله .

ولكن فى النهاية سيجد المسلمون أنفسهم فى وضع متسامى بحيث يكونوا ﴿ **شهداء على الناس** ﴾ كما أمرهم الله . وتنمية التصرفات هذه المختلفة عن تنمية المصالح عند الغرب تحتاج لجهد إيجابى وتحدى مختلف عن التصور الشائع أنها مجرد رسالة تحمل للناس . وأنها رسالة الله والله سينصرها وأن مجرد التوكل على الله يحققها . لقد نص القرآن على الدور الإيجابى والتحدى بقوله : ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ .

فخلاصة القول أن التنمية الإسلامية مركز الدائرة فيها هو الله والتنمية الغربية مركز الدائرة فيها هو المنفعة العاجلة أو اللذة . ولابد طبعا من تنافس الفكرتين . وفى فترة الجزر والخور والضعف تتغلب اللذة على الترفع والعصمة . ويتغلب أسلوب تنمية المصالح على أسلوب تنمية التصرفات .

فى مطلع هذا القرن كانت اللبرالية الغربية قد أزاحت علماء الإسلام والعاملين عليه إلى حافة الدائرة بدلا من المركز أو البؤرة . وكان السياسيون قد سرعوا عملية التحديث والتغريب بإيقاظ الشعور الوطنى فى الجماهير وكان هناك فى المحصلة النهائية صعود للضباط والتكنوقراط ورجال المال وهبوط لرجال الدين وأصبح أهل الحل والفقه سابقا يلعبون الدور الثانوى للأمير وللضباط وللتكنوقراط . صعد أتاتورك . صعد شاه إيران . صعد عبد الناصر . صعد حزب البعث العربى . وتكونت من هؤلاء دكتاتورية قوية ذات شكيمة مسلحة بالتكنولوجيا وأدواتها القمعية والتجسسية والمسيطرة على ذهن الجماهير . والجماهير مسلمة على الفطرة وفقيرة ومغلوبة . واعتبرت هذه الأنظمة أن قيام حكومة إسلامية ببرنامج معلن وبرلمان ينتخب انتخابا شعبيا . اعتبروا ذلك عملا فوضويا يهدد الدولة وتطورها وأن أى شعور تأييد لمثل هذه الحكومة المرتقبة هو شعور عاطفى وليس تصرفا عقلانيا ولا طبيعيا . وحتى عندما خطا الإسلاميون نصف الطريق بقولهم باشتراكية إسلامية أو إسلام سياسى أو مثل هذه الحلول النصفية اعتبر هذا تحركا محرما .

الآن إذن أصبح من الصعب على الإسلاميين أن يعملوا علنا أو يفكروا علنا أو شرعيا عن طريق انتخابات أو صحافة أو برلمان . وأصبح عليهم أن يفكروا فى مواجهة خفية ضد دكتاتورية غنية وحديثة ومسلحة بالتكنولوجيا إلا أذا لجأوا هم أيضا إلى التكنولوجيا والمال والتحديث . كاستعمال حرب الأشرطة وحرب الفيديو وحرب الإرسال بالأقمار الصناعية وحرب التجسس الإلكترونى .

وهذا كله فى مرحلة قبل قيام دولة . أى فى مرحلة قبل التنمية التى تقوم بها الدولة . فما بالك بحاجتهم إلى التكنولوجيا بعد قيام دولتهم . ومحاولتها اللحاق بالعصر الذرى وعصر الفضاء وعصر حرب النجوم التى لابد أن تتصدى لها القوى الغربية الحديثة .

التقنية الإسلامية تختلف عن التقنية الغربية

ليس للعلم ولا للتقنية دين ولا وطن . وما يصلح منها لموقع ما يصلح فى كل الأرض . ولكن طريقة استعمال العلم والتقنية ومجالات استخدامها تختلف .

العلم والتقنية اعادت اليابان فى أقل من ربع قرن بعد أن تدمرت صناعاتها بالكامل فى الحرب العالمية الثانية والعلم والتقنيه جعلت معدل التنمية فى كوريا ١٠٪ سنويا وزادت التصدير ١٠٠٠ فى المائة .

والعلم والتقنية جعلت إسرائيل تفرض نفسها على مائة وخمسين مليون عربى وألف مليون مسلم . نفس هذا العلم وهذه التقنيه لو صحبتها ضوابط اخلاقية وإيمانية ووحى الهى سوف تزيد خيرها وسوف تحصر نشاطها بعيدا عن أسلحة الدمار التى يصرفون عليها حاليا ٩٠٠ مليار دولار سنويا . وسوف تكون أداة لنشر الإيمان والأمان والإنسانية .

والتقنية الإسلامية سوف تستفيد من إنجازات التقنية الغربية وتقفز فوق مراحل سابقة موفرة الوقت والجهد .

والتقنيه جعلت الرأسمالية ممكنة بدون الملكية الفردية للأرض وغيرت بذلك مفاهيم الرأسمالة والاقطاع وطبقة العمال والفلاحين تلك المفاهيم التى كانت سائدة قبل عصر التقنية . بل أنها غيرت — كما هو فى اليابان واضحا — أن ملكية موارد طبيعية غنية مثل الفحم والحديد — غير ضرورى لعملية الإنتاج الثرى . فهذه التقنية ذاتها التى بدلت معانى ألفاظ الاقطاع والرأسمالية والبروليتاريا وحولت مسار دول عظمى ذات ايديولوجيات ضخمة سوف تغير فى مجتمع المسلمين وفى نظرة الناس للإيمان . والتواكل والغيبيات والخير والشر .

فبإضافة الإيمان إلى التقنية سوف يؤثر فى نوعية الاستهلاك بعيدا عن الترف . وسوف يؤثر فى انتاجية التقنيه بعيدا عن إنتاج أسلحة الدمار والتلوث والقتل الكيماوى أو الميكروبى وهى حاليا $\frac{١}{٣}$ التكنولوجيا .

وإضافة الإيمان إلى التقنيه سوف يؤثر فى الاقتصاد الربوى وأسلوب أدارة البنوك وعقد القروض وعملية الهجرة للعمالة المدربة وفى الثقافة بوجه عام .

لا نستطيع أن نستكشف صورة الغد بالتفصيل بعد إضافة الإيمان إلى التقنية لأن التقنية بطبيعتها تخلق غدا لا يخطر على البال اليوم لأن التقنية كرأس الرمح الطائر تخترق التاريخ بأسرع مما تراه العين . وتصل إلى أماكن لم يسبق للعين رؤيتها .

مثل هذه التقنيه الإيمانية والإسلامية تستلزم ثورة فى التعليم تسبقها حتى يلد هذا التعليم تقنيه إيمانية متحررة من الشوائب الغربية التى يعانى منها الغرب الآن كالإستهلاك وإنتاج أسلحة التدمير . ثورة التعليم هذه تتركز حول تعليم الطفل فى أول مراحله التعليمية لغة القرآن ومعانى القرآن ومراميه . وبعد ذلك ومترتبا على ذلك سوف تتخلق تكنولوجيا جديدة تماما . لأنه سوف تنشأ فلسفة للمفكرين مختلفة وسوف ينشأ برنامج سياسى واجتماعى للقضية مختلف عن هذا البرنامج وسوف يلد هذا أسلوب حياة مختلفة تماما .

نقل تكنولوجيا دون نقل قيم الغرب :

الهدف يجب أن يكون محددا وواضحا وهو بناء تكنولوجية ذاتية ذات وظيفة إسلامية تتلخص فى تحرير المسلم فكرا وسياسة واجتماعا وحضارة . ثم محاولة التميز على الغرب فى المرحلة الثانية .

إنها التكنولوجيا فقط التى يمكنها أن تنقذنا من زحف الغرب علينا . إنها التكنولوجيا فقط التى تجعلنا نستغنى عن الغرب أن الالكترونيات وحدها وهى فرع من التكنولوجيا كفيلة أن تطور أى مجتمع اخلاقيا وفكريا واجتماعيا بالصورة التى لدينا عن العفاريت .

التكنولوجيا الآن فى يد الغرب هى عصا ساحر فى يد الساحر . ويجب علينا خطف هذه العصا من يده لإبطال سحره علينا . الايديولوجيات المختلفة لا تغنى عن التكنولوجيا ، الايديولوجيات هى مساجلات ومناظرات صالونية كلامية بين أقوام حققوا شبعا كاملا عن طريق التكنولوجيا ولم يبق إلا أن يتراشقوا بالنظريات كما يتراشق الشعراء فيما بينهم بأبيات من الشعر .

فأمريكا كانت مستعمرة بريطانية . والتكنولوجيه هى التى حولتها إلى سيده على بريطانيا . وروسيا حققت مكانتها عن طريق كهربة ريفها . واليابان لم تعلن أى نظرية أيديولوجية ولكنها فاقت الكل فى التكنولوجيا .

فالتكنولوجيا هى وحدها القادرة على القفز على الايديولوجيات . وتغنى العالم الثالث بالإيديولوجيات حاليا وإهماله للتكنولوجيا أنما مرده إلى أنه يعيش على الشعر والأحلام والأوهام . والغرب نفسه حريص على تصدير الايديولوجيات المتضاربة إلينا ليمنع وصول التكنولوجيا .

فالايديولوجيات هى نوع من الشعر فى الممارسة السياسية والشعراء فى كل واد يهيمون ، فالايديولوجيات يمكن أن تكون تضليلا لما فيها من أوهام . والإيديولوجيات تنشىء نفورا وتمزقا وتشرذما لتباين الأحلام تباينا متضاربا . أما التكنولوجيا فلا يمكن أن تكون أوهاما لأنها حقائق تراها بعينك وتلمسها بيدك . ولا يمكن أن تؤدى التكنولوجيا إلى تفرق أو تشرذم بل هى وحدها التى تؤدى إلى توحيد . فالتكنولوجيا هى التى حققت تقارب روسيا الشيوعية وأمريكا الرأسمالية . ثم هى التى حققت وحدة أوربا الغربية حاليا .

لقد كان العالم الثالث هو أكبر مستهلك للايديولوجيات . واستهلاك الأيديولوجيات هو الذى مهد الطريق لبضائع كل أيديولوجيا ومهد الطريق للنهب الأمبريالى لموارده الخام .

والمطلوب الآن هو الخروج من التضليل الايديولوجى إلى الصدق التكنولوجى . وبالنسبة للمسلمين بالذات فإن الايديولوجيات الغربية قد خلقت عندنا أصناما سياسية وفلسفية . هذه الأصنام يجب تحطيمها . وهذا التحطيم إنما يتم بالتكنولوجيا .

على أن هذه التكنولوجيا يجب أن تكون خالية تماما من قيم وروح الغرب . وألا نكون قد نقلنا معها وباء الايديولوجيا فعملية النقل يجب أن تكون انتقائية . نقبل ونرفض ونحور ونطور لا مجرد نقل ونقل ونقل . ففى ترجمة العلم والتكنولوجيا يجب إضافة مقتبسات وممارسات محلية تتمشى مع المسكن والملبس وسبل الرى المحلى والطب

الشعبى وطرق الزراعة المحلية . وكل حقيقة علمية عند الغرب نوجد لها من تاريخ فكرنا العلمى أصلا . وما أكثر ما نقل الغرب عنا . وإعادة كل حقيقة إلى مكتشفها الشرق الأصلى تعيد الثقة فى أنفسنا .

التكنولوجيا هى الداء وهى الدواء

لقد كانت التكنولوجيا سلاح الغرب فى النهب الإمبريالى للعالم الإسلامى عبر الطرق الثلاثة السابق ذكرها النفط والسلاح وانظمة الحكم . وهى هى التكنولوجيا التى يمكن أن تحرر العرب والمسلمين من الغرب . تحرر الأرض والمال والعقل .

أما فى النفط ففيه ٣ مراحل كلها قائمة على التكنولوجيا هى الاستخراج ثم النقل ثم التصنيع إلى بتروكيماويات . وبتلخيص شديد فإن انفاق دولار على البحث يعود بأربعة دولارات من النفط الخام . ثم بستة عشر دولارا من نقل هذا النفط ثم بأربعة وستين دولارا من تصنيعه إلى بتروكيماويات . ومعنى ذلك أن الدول التى تكتفى باستخراج النفط وطرحه للبيع لا تكسب إلا ٤٪ من عائد الذهب الأسود هذا إذا احتفظت بالأربعة فى المائة فى بنوكها للتنمية ولم تنفقها فى بنوك الغرب أو فى السلاح أو على أبهة السلطة .

وغنى عن الشرح أن عملية الاستخراج وعملية النقل وعملية التحويل البتروكيماوى كلها عمليات علمية تقنية . يلزم صناعتها محليا بدلا من استيرادها والانتقال من مرحلة الصناعة المحلية لها

إلى تطويرها والإضافة عليها . ومجرد معرفة واستخدام هذه التكنولوجيا ذاتيا يضاعف موارد النفط ٢٥ مرة . وأما الإضافة والتطور فيضاعفاها اضعافا أكثر وأكثر .

وأما معرفة تكنولوجيا السلاح فانه يوفر للعالم الإسلامى ٦٠٠ مليار دولار ويؤدى التصنيع المحلى إلى قيام وحدة إسلامية حتى تقدر على الانفاق المادى والذهنى لهذا السلاح ويؤدى إلى منع التفتت الإسلامى ومنع استعمال السلاح فى قمع الشعب المسلم الذى سيكون هو نفسه صاحب هذه التكنولوجيا .

ونقل ثم تصنيع ثم تطوير هذه التكنولوجيا الخاصة بالسلاح والنفط سوف يمنع نزيف العقول العلمية والتكنولوجية التى تقدر سنويا بما لا يقل عن خمسين ألف عالم . إن الغرب حاليا يفصل القشطة من اللبن وينهبها نهبا .

وأنظمة الحكم السياسية المعاصرة عاجزة عن تهيئة فرص توظيف هؤلاء العلميين وتعليمهم وتوفير لوازم البحث العلمى لهم وفى نفس الوقت هذه الطبقة من العلميين غير مترابطة بحيث تكون طبقة ضاغطة على السياسة . وتحرص أجهزة السياسة حاليا على تمزيق انتماءاتهم وبذر الخلافات والنزاعات والحروب بينهم .

هؤلاء العلميين وتكنولوجيتهم والكترونياتهم قادرين تماما على تثور المجتمعات الساكنة وبعث الحياة فى الأوطان الميتة والاقتصاديات المفلسة . والأنظمة الرجعية المتخلفة .

فالتكنولوجيا والتكنولوجيين أصبحوا اليوم قضية سياسية ولم يعودوا مجرد أفراد فى الخدمة فى ظل الحكام . ولقد رأينا فى السنوات الأخيرة بعد الحرب الثانية كيف أن الغرب تخلى عن الاستعمار العسكرى وأسلوب الراجا وأساطيل الحرب إلى صناعات الإلكترونيات والحاسبات الإلكترونية وعلوم الفضاء ورأينا المجتمع الشيوعى يتخلى عن النظرية الشيوعية ويسارع إلى المنافسة على التكنولوجيا . ورأينا اليابان والمانيا المهزومتان حربيا يقيمان عن طريق التكنولوجيا امبريالية علمية تقنيه مصرفية تعوضهما عن الهزيمة السابقة .

وأصبح محتما على المجتمع الإسلامى أن يسلك نفس الطريق وأن يحث الجرى إليه حثا شديدا لتعويض ما فات .

العرب هم الأحوج إلى التقنية وهم الأقدر على استيعابها :

قضايا العرب هى التنمية والديموقراطية والوحدة وتحديث العقل والنظرة إلى المرأة . وهذه القضايا لم تنشأ إلا بعد التلوث النفطى للثقافة العربية الأصلية .

كان ظهور النفط كثروه ما رده بدون مجهود اعتبر أن النجاح ليس بالعمل وليس بالعلم ولكنه بالحظ وأصبح للنفط نظرية قائمة وإن لم تعلن وهى أن الحياة فرض وليس العائد « تبطا بالمجهود أى أن المردود غير مرتبط بالمجهود أو مرتبط به ارتباطا عكسيا . وهذا لوث الثقافة العربية الأصيلة ودمر التفكير السليم عند العرب .

وكان ظهور النفط سببا جبارا فى تحول العرب إلى استهلاك ترفى يمارسه الفرد والقطاع العام والحكومة ومسئولو الحكم وصارت الحكومات العربية أكبر مستهلك للسلاح الغربى استهلاكا ترفيا يدمرون به أنفسهم ووحدتهم وإسلامهم .

لم يكتف العرب النفطيون بالتحول إلى الاستهلاك الترفى الذى يأكل رأس المال الأصلى وهو النفط أولا بأول ولكنهم نشروا هذا الاستهلاك الترفى بين العمالة المهاجرة وفى دول العالم الثالث وبين المثقفين فى الشرق والغرب وفى المحيط الدينى وفى الدوائر السياسية حتى لم يسلم من التلوث النفطى العام إلا من عصم ربك .

إذن هناك وباء يتمثل فى أن النظرة إلى الترف تهدر قيمة العمل . ومن ثم قيمة التضحية ومن ثم قيمة الجهاد ولما كانت قيمة الدين تنحصر فى تزكية العمل وتنزيه العمل من الشهوة وبالتالى فإن هذا الوباء النفطى يميت الدين أو يحول الدين إلى قشره خارجية وطقوس صورية وممارسات ضد الجوهر والرسالة الأصلية .

هذا الاهدار للعمل أدى أيضا إلى الاتكال على الأجنبى والحياة على هامش الإنتاج العالمى لا فى قلبه .

لقد أدى هذا إلى إهدار شروط العمل وهى احترام الوقت واحترام الإنسان واحترام روح العمل كفريق والحفاظ على الآلة وعلى المواد الخام .

نتج عن هذا ثقافة تعتمد على الخارج لا الداخل فى التنفيذ والتفكير والحرب والسياسة .

أى نتج عن هذا عقلية التخلف والتبعية والحياة فى ظل الأجنبى . وانتظار الحظ والإيمان بأنه لا علاقة بين المردود والمجهود فى معادلة العمل .

هنا نشأت قضايا العرب التى ألمحنا إليها : أولاها وهى التنمية والتنمية هى التطور للأمام لا للخلف . والتنمية تحتاج إلى عقلانية وإلى حقائق لا تهويمات تصحب حياة الترف . وإلى أرقام لا إلى أحلام سديمية مرتبطة بالحظ . والتنمية الحقيقية لها شرط هى أن تبدأ من أسفل إلى أعلى تبدأ من المحكوم إلى الحاكم . لأن التنمية عملية وحقنة إحياء تبعث الحياة حيث تخطو من أسفل إلى أعلى . أما خطط التنمية التى يضعها الحكام العرب وتسير من أعلى إلى أسفل فهى تنمية للغرب للبنوك فى الغرب للمصانع فى الغرب وللعامل والفلاح فى الغرب . وخطط التنمية التى تضعها الحكومات العربية تستهدف دمج الدول النفطية فى السوق الرأسمالية العالمية .

وهذا الدمج تم فعلا بسرعة فاقت دمج الدول المفتوحة عسكريا فى فترة الاستعمار الحربى القديم . فتبعية بلاد النفط حاليا إلى الإمبريالية العالمية أعنف كثيرا من تبعية السودان أو الهند إلى الاستعمار البريطانى السابق .

وإذا كانت التنمية العربية تتم من أعلى إلى أسفل بعكس العالم كله

فمن هنا تنشأ القضية الثانية وهى غياب الديموقراطية لأن أمور الرزق صارت بيد الحاكم وميزانية النفط فى يد سيده الأجنبى . وحتى لو أدعى حاكم ما ديموقراطية من باب المودرنزم الغربى فإنها لا تعدو أن تكون نوعا من البيروقراطية يصورها لهم على أنها يرتريبا أو مجتمع الخير .

لقد كانت الديموقراطية موجودة قبل المجتمع النفطى عنها الآن فى كل البلاد العربية .

ونشأت القضية العربية الثالثة وهى غياب الوحدة لإندماج سوق النفط فى السوق الإمبريالية العالمية التى تسعى إلى منع هذه الوحدة وتغيب هذه الوحدة أيضا لأن الحاكم يستأثر بالثروة النفطية ولا يعتبرها ثروة قومية للعرب كافة . وإذا كان الفقر يستطيع أن يوجد جبهة الفقراء فإن الغنى يفرق ويبذر العداوة بين الأثرياء .

وأما القضية الرابعة وهى تحديث العقل فهذا مستحيل فى ظل الإيمان بالحظ النفطى وبأنه لا علاقة إلا إذا كانت عكسية بين الجهد والمرادود. ومستحيل فى ظل ثقافة تعيش على هامش العملية الإنتاجية لا فى قلبها .

كيف يحدث تحديث إذا كانت الحضارة النفطية تقوم على استهلاك ترفى يأكل من رأس المال نفسه بينما حضارة الغرب المطلوب اللحاق بها فى عملية التحديث هذه إنما قامت على تكديس الثروة وليس

استهلاكها . قامت على الإدخار واستغلال الغابات والمناجم والصحارى والبحار وأخيرا النفط ذاته .

والعجيب أن العرب النفطيين بعد أن آمنوا بالحظ النفطى وبانعدام الصلة بين الجهد والعائد وبانعدام قيمة العلم والعمل آمنوا بأن كسب المال هو مقياس النجاح . على أن يكون هذا الكسب بالحظ لا بالجهد ولا بالتدبير . أى أنه حتى خضوعهم لسطوة المال خضوع المغلوب على أمره لا خضوع صاحب المال الأصلى .

وأخيرا تأتى قضية العرب الخامسة وهى نظرتهم إلى المرأة :

إذا كانوا أساسا لا يؤمنون بالجهد والعمل فمن باب أولى لا تكون المرأة عندهم عنصر منتج كالرجل . لأن الرجل عندهم غير منتج إنما هو رجل محظوظ أو غير محظوظ . ومن هنا كرس عندهم التلوث النفطى النظرة الأنثوية للمرأة .

ومن هنا لعبت المرأة دورا خطيرا جدا فى السياسة المعاصرة ، لعبت دورا صامتا وخفيا لا يعرفه إلا الأطباء ، وأقصد بالمرأة هنا المرأة الغربية والصهيونية وعميلات الصهيونية . وهذا دور ملازم للحقبة النفطية أخطر كثيرا من ألف ليلة القديمة . وليس غريبا أن نربطه بظاهرتين : فليس غريبا أن الإمبريالية العالمية زرعت دولة غربية (إسرائيل) داخل بلاد النفط بمجرد ظهور بوادر النفط . ثم زرعت تبعية عربيةعن طريق السلاح وبعض الحكام ثم زرعت تبعية دينية عن طريق المرأة الغربية المدربة .

وليس غريبا أن الغرب والصهيونية استعملا التكنولوجيا الحديثة استعمالا خاصا فى بلاد النفط فالتقنيه الحديثة طورت تطويرا سريعا حفظ المعلومات مما أدى إلى نمو متفجر فى صنع الثقافات ولكن الثقافة فى العصر النفطى فى البلاد العربية لم تتفجر بالتقدم كما حدث فى الغرب لأن شرائط الراديو والفيديو وبرامج التليفزيون استعملت فى نشر الذوق الهابط والثقافة المريضة الشاذة .

التبعية للغرب هى داؤنا

إذا كان تشخيص المرض لابد أن يسبق العلاج وإذا كان العلاج لا يثمر إلا إذا بنى على تشخيص صحيح فلابد من اعتبار الخطوة الأولى اللازمة لكل متصدى للعمل العام أو السياسى فى العالم العربى والإسلامى هو أن جوهر الأزمة حاليا هى التبعية وأن العلاج يبدأ من علاج التبعية .

إن صغر حجم الدول الوطنية التى تفتتت إليه الدولة العثمانية بعد ٤٠٠ عام من البقاء جعل قدرة كل خطر على التحدى ضعيفة. وحتى لو وجدت إرادة للتحدى إلا أن إدارة التحدى نفسه أصبحت مكلفة وتحقق فشلا فى كل مرة . هذا ما حصل مع الحركات الوطنية فى مصر قبل ثورة يوليو ثم ما حصل مع ناصر والى أن استسلم السادات بالكامل . وحصل نفس الشيء لباقى ورثة السلطنة العثمانية .

مؤشرات التبعية :

١ - ٨٥٪ من تجارة العرب ليست بين العرب بعضهم البعض ولكنها بينهم وبين الاستعمار فهم عاجزون عن التبادل الحر .

٢ - ٨٥٪ من غذاء العرب قادم أيضا من الاستعمار .

٣ - ١٠٠٪ من سلاح العرب قادم من الاستعمار .

والاستعمار الآن قائم على مص الدماء بعد أن كان فيه جانب من التعمير الذى اشتق منه إسمه فتحويلات شركات النفط إلى الغرب تفوق فى عام واحد ما حوله الاستعمار العسكرى البريطانى والفرنسى فى ٥٠ عاما . وإضافة إلى النهب الأمبريالى للعالم الإسلامى هناك سيطرة غربية على شركات الإستثار والمقاولات والتسويق والإدارة وللدرجة أن هناك شركات غربية هى التى تختار وتعين وتحدد مرتب الفنيين من مهندسين وأطباء ومعلمين فى بلاد النفط والقادمين من دول عربية إلى دول عربية .

وأكثر المؤشرات إعلانا للتبعية هى أن كل سلاح الغرب رغم أنه مدفوع الثمن وثمن مضاعف إلا أن الغرب يشترط عدم استعماله ضد إسرائيل ولكن يستعمل فى حرب اليمن مثلا أو غيرها ..

وأصرح من هذا أيضا أنه فى الوقت الذى لدى الغرب فوائض عربية يقوم هذا الغرب باقراض نفس هذه الفوائض إلى دول عربية غير نفطية مثل مصر ودول العالم الثالث بربا فاضح محطم لها . بل

ويصرف منها على ثوار الكونترا . ومن هذه الفوائض يستورد العرب كل مستلزماتهم بالسعر الذى يفرضه الغرب .

بل ان ما يسمى معونات غذائية هى سموم سياسية . لأن توريد القمح مثلا يجعل البلد المتلقى ينصرف عن زراعة قمحه بنفسه ويصبح تابعا . وإذا قلت معونة القمح جاع ولاذ بالغرب يستجديه . وفى نفس الوقت فهذا الدقيق هو ثمن الاعتراف بأن أمريكا لها ٩٩٪ من أوراق اللعب السياسى . فالانكشاف الغذائى العربى هو سلاح تجويع صريح أو تلميحا .

النتيجـــة :

أن المجتمع العربى يعيش ويأكل ويفكر وينام ويتكلم بأمر الغرب . الغرب هو مركز الدائرة والعرب أطراف تدور حول المركز وحتى التبادل التجارى العربى لا يتم إذا تم مرورا بالمركز وحتى مشروع النهضة باستعمال العلم والتكنولوجيا يراد من العرب أن يفهموا أن التنمية لها طريق واحد فقط هو الذى سلكه الغرب مرحلة تلو مرحلة فى خط واحد غربى .

وهذا كله يستلزم ثورة . ثورة تكنولوجية . خط تنمية مستقل . تصنيع وطنى مستقل بعيدا عن الشركات متعددة الجنسية التى تهدف إلى توريد الالات وقطع الغيار والمستشارين بغرض إدماج الثروة العربية فى السوق الإمبريالية فى دور الذيل بالتحكم فى المواد الخام وفى الفوائض النفطية وفى تصنيع تابع يصبح هما جديدا ثانيا .

فى حين أن المطلوب هو تكامل عربى عربى يهدف إلى تحرير الأرض والعقل العربى .

المحاذير فى عملية أسلمة التكنولوجيا :

معالم الغرب التى يجب الاحتراس والتحلل منها فى عملية ترجمة العلم والتكنولوجيا هي أن الغرب يعتبر أن المنفعة حتى اللذه هى مركز الكون . فى حين أن المسلمين يرون أن الله هو مركز الكون .

فالغرب يرى أن العبادة هى عبادة الحياة وبالتالى عبادة الشباب والقوة والحيوية وأن الزمن هو كم فى الإنجاز والحركة وأن الزمن سلعة قابلة للإستهلاك والتبادل .

وما دام يعبد الحياة فالغرب يتجاهل الموت ويغيب حقيقته .

والغرب لا يقدس الحياة فقط ولكنه يجعل من الصراع على الحياة قيمة دافعة ومحركا للفرد والجماعة بل وسمة أخلاقية ممتازة فى كلمة واحدة الحياة فى الغرب ليست إلا الحياة الدنيا . عندنا هى حياة أخرى أولا ثم حياة دنيا ثانيا . فالفارق بيننا وبين الغرب ليس فارقا فى الدرجة ولكنه فارق فى الاتجاه فارق ١٨٠ درجة .

وبناء عليه فعندنا أسلوب حياة مختلف وأسلوب استهلاك مختلف وأولويات مختلفة . ومن ثم تكون التكنولوجيا مختلفة واللغة نفسها العلمية يجب أن تختلف .

تكنولوجيا البناء فى الغرب مختلفة . تكنولوجيا رى الصحارى مختلفة عن الرى فى الغرب . تكنولوجيا الأثاث مختلفة بل إن تكنولوجيا المرطبات والطب الشعبى مختلفة . ليس هذا فقط ولكن مع كل مجتمع محلى مسلم هناك تكنولوجيات يجب أن تختلف من أقليم نهرى إلى أقليم صحراوى إلى أقليم جبلى الخ . هذا كله يؤكد أولا انتقاء التكنولوجيا انتقاء ثم تحويرها محليا والحذر من أن الاستيراد إنما ينمى التكنولوجيا الغربية والمصانع وسوق المال الغربى . وإن المطلوب هو مجرد الاستعانة بالتكنولوجيا الغربية فى تصنيع مرادف إسلامى محلى يغنى عن الغرب .

هنا نقول أن أول محاذير نقل التكنولوجيا هى الاحتراس من المستشارين والمبعوثين والدبلوماسيين والإداريين الذين يرسلهم الغرب مع تكنولوجيته مع العلم بأن هذه التكنولوجية الغربية هى ذاتها التى ستنقذنا من الغرب .

ثم الحذر من خضوع المثقفين المسلمين للمستشرقين والتجار المسلمين للسوق الغربية والجيوش للسلاح الغربى والحكام المحليين لحكام الغرب . وهناك حذر آخر أهم وهو الحذر من استقدام التكنولوجيا للاستهلاك الترفى بدلا من الإنتاج فهنا يصبح استيراد التكنولوجيا كارثة علينا ونعمة على اقتصاد الغرب ونكون قهرنا أنفسنا بأيدينا . وهذا واضح فى بلاد النفط . إذ يحولون ثروة تمثل فرصة وحيدة لهم فى التاريخ إلى استهلاك لرأس مالهم نفسه . استهلاك فرد لأدوات الترف . واستهلاك القطاع العام والجيوش للسلاح الغربى ثم

الغرق فى الديون وتحويل الثقافة إلى ثقافة استهلاكية لذيذة ومدمرة بدلا من ثقافة الجهاد والكفاح والبناء .

إذن عملية استيراد التكنولوجيا يجب ألا تترك للعامة ولا للتجار ولا لوكلاء الشركات الغربية ولكن تسند إلى جماعة لها ذخيرة سياسية وتفهم أن التكنولوجيا يجب أن تنتقى ثم تطور محليا أى عملية أسلمة للتكنولوجيا وتحت برنامج سياسى وثقافى بعيد المدى . وبهدف خدمة الله ورسالته لا بهدف المتعة والنفعية .

عملية أسلمة التكنولوجيا إذن يلزمها أولا حدوث ثورة فكرية تشمل التعليم ومفهوم كلمة العمل ومفهوم الإسلام السياسى والمفاهيم الغربية عن الإقطاع والرأسمالية والشيوعية .

التكنولوجيا تحول الخلاف الدينى إلى خلاف سياسى :

معروف أن ايديولوجية الإسلام هى الخلافة وأن المؤسسة السياسية الإسلامية هى الخليفة والعلماء والفقهاء وقانون الشريعة الإلهية .

هذا كله هدم علنا فى انقلاب أتاتورك . أما باقى البلدان الإسلامية فلم تكن فى مثل صراحة اتاتورك . إنما دارت حول الإسلام أو قفزت فوق هذه المؤسسة . ثم أن الملوك والرؤساء احتكروا القوة والسلطة والنفوذ يوما بعد يوم ويوما بعد يوم وقعت فى أيديهم المؤسسة الدينية الرسمية كالأزهر والأوقاف والمحاكم الشرعية وبيت مال المسلمين .

هذا أدى إلى أن يصبح الإسلام عامة والدعوة إلى الخلافة خاصة أداة فى يد المعارضة ضد الحكام فى طول البلاد الإسلامية وعرضها . معارضة سياسية وليست دينية أساسا . فكلاهما يقول بالإسلام . واحتضان المعارضة سياسيا للإسلام نشر مفاهيمه داخل المدن . والتكنولوجيا الغربية ساعدت هذه العملية وخدمت الإسلام بدلا من أن تضره ، واضح هذا فى حرب الأشرطة الإسلامية للدعاة الإسلاميين فى مصر وواضح هذا فى فيديو الشيخ الشعراوى وأحمد ديدات . وسوف يتضح هذا فى إرسال اقمار صناعية قريبا .

ولكن رغم هذا لا توجد جهود فعلية لإعادة الخلافة وهى إيديولوجية الإسلام ولا جهود حتى لإزاحة أو تفكيك الأنظمة القائمة . فلا تزال اللبرالية الغربية قابضة على كراسى الحكم حتى بعد تحولها إلى دكتاتوريات عسكرية . وامنحت عن الأذهان مفاهيم كاملة مثل الأمة وأهل الكتاب والذميين .

أى أن المواجهة مواجهة سياسية غير مكتملة وغير ناضجة وأقرب إلى مواجهة شعوب أمريكا اللاتينية لحكامهم . وهى مواجهة يستعمل فيها الدين كسلاح .

ومع ذلك فالإسلام كعقيدة سهلة ممتنعة يؤمن بها الحاكم والمحكوم وأكبر من أن تكون تنظيما حزبيا يسعى للحكم . أضافة إلى أن بعض الحكام صاروا يتزايدون على الإسلام حاليا كما تزايدوا سابقا على قضية العروبة أو قضية فلسطين ، وليس أمامهم إلا أن يزايدوا أكثر وأكثر

بالشعارات الإسلامية حتى يسرقوا الأضواء من المعارضة . نميرى تزايد . باكستان يتزايدون ، القذافى تزايد على علماء ليبيا . بومدين تزايد على عروبة الجزائر . حتى السادات تزايد بشعار العلم والإيمان وادعى أن إسلامه هو الصحيح وأن إسلام الآخرين هو انحراف عن الإسلام .

صارت المسألة اذن هى اختلاف فى الدرجة وفى صدق الإنتماء إلى الإسلام ولكنها أبدا ليست موقفا ضد الإسلام .

فإذا كانت التكنولوجيا قد زودت الحكام بأدوات التجسس والقمع ضد المحكومين فقد زودت أيضا المحكومين بسلاح الأشرطة والفيديو وسيل الكتب والبادجات الدينية . وحولت المواجهة من مواجهة دينية على غرار أتاتورك إلى مواجهات سياسية وأصبح من المستحيل تكرار مثال أتاتورك .

وبعد قيام الصحوة الإسلامية أصبح استعمال التكنولوجيا فى معركة الإسلام الدولى فرضا حتميا وأصبحت هى الحرب الحقيقية لا حرب المدافع ولا الصواريخ . واصبح نقل التكنولوجيا ونزعها من يد أنصار الغرب هو الميدان الوحيد للمعركة الفاصلة .

الإسلام أسلوبا للمعارضة :

لما كانت الهموم الإسلامية ٤ هموم : هى هموم سياسية وهموم

وطنية وهموم اجتماعية وهموم سلوكية . ولما كان اتاتورك قد تعامل مع هذه الهموم باستبدالها استبدالا كاملا بأنماط ٤ أوروبية. ولما كان ما فعله بقية العسكر ورثه السلطنه العثمانية هو ابعاد الصور الإسلامية إلى الخلف وأن يعرض كل حاكم صورته الشخصية فما تفعله المعارضة الآن فى كل البلدان الإسلامية هو استعمال الصور الأربعة الإسلامية فى معادلاتها الخاصة كعامل مساعد - كاتالست. فالإسلام يستعمل الآن سلاحا للمعارضة . والمطلوب هو العكس أن تكون المعارضة سلاحا فى يد الإسلام ثم الحكم بعد ذلك سلاحا فى يده .

لقد أوجد اتاتورك ثم ناصر نوعا من الوثنية السياسية ركزوا فيها على تقديس ذاتهم . وهذه الوثنية السياسية انتشرت بصور أخرى فى تونس بورقيبة والجزائر وليبيا وغيرها . وحتى فى الدول التى تدعى الديموقراطية إنما تكيد كيدا للديموقراطية عن طريق الحزب الواحد أو الحزب المتحكم أو حزب الحاكم أو تزييف إرادة الشعب وجعلها هى إرادة الحاكم .

إزاء هذا تقوم جبهات المعارضة فى كل الوطن الإسلامى باستخدام الإسلام أسلوبا للمعارضة .

ومع إزدياد أزمة الاقتصاد والبطالة يرنو الجمهور بنظرة إلى الشيوعية كحل للأزمة أو إلى اليمين المتطرف كحل جديد . والحاكم يستعمل اللعب بين هذين الطرفين فى أقصى اليمين وفى أقصى اليسار لحفظ توازنه كما يستعمل البهلوان العقلة فى السير على الحبل . يستعين

الحاكم بأقصى اليسار مرة ليوازن به أقصى اليمين ثم العكس بالعكس . ويصبح كلاهما اذن « جزء من النظام » . أى من أدوات الإبقاء على نظام الحكم كإبقاء العقلة فى يد بهلوان السيرك . وهكذا يكون هذا هو أسلوب الحاكم فى إبطال استعمال الإسلام كأسلوب معارضة ضده .

والمطلوب من الإسلاميين هو أن يكون لهم موقف معلن ومحدد من الامبريالية العالمية خصوصا ثم موقف محدد من القضايا الوطنية المحلية فى كل قطر وموقف محدد من مشاكل الاقتصاد والسياسة . أى لابد لهم من الاستقلال عن الحاكم وعن المعارضة .

وهذا الموقف لابد أن يكون موقفا علميا لا موقفا عاطفيا . موقفا محددا بوضوح لا موقفا هلاما . وهذا يستدعى النظر إسلاميا إلى القانون الدولى الذى وضع فى غيبة الخلافة ويستدعى النظر فى كافة النظريات والمفاهيم المستجدة فى قاموس السياسة والاقتصاد والفلسفة وعلم النفس بحيث ينشأ للإسلاميين قاموس فلسفى سياسى اقتصادى جديد فيه المرادف الإسلامى لكل تعبير أجنبى .

وهذا يستلزم ثورة ترجمة الأفكار وثورة اجتهاد إسلامى فى خلق تعبيرات إسلامية مناظرة وبالتالى يستلزم استعمال المعارف الإنسكلوبيدية والكمبيوتر ومعامل التجريب النفسى والاستقلال صناعيا وزراعيا استقلالا مبنيا على العلم والتكنولوجيا .

إن ما نبحثه إذن هو كيفية تخليص الشرق الإسلامى من أنياب وبراثن الغرب .

ما هو الحــل ؟

حيث أن الإيديولوجيات سواء شرقية أو غربية أو نازية أو أمبراطورية تقديسيه قد تحولت وبسرعة إلى العلم والتقنية . ولما كانت الأمة الإسلامية أصلا هى أمة العلم بموجب ٧٥٠ آية قرآنية مقابل ٢٥٠ خاصة بالتشريع وبموجب السنة والسيرة وبالعلم وحدة تصبح أمة شهداء على الناس . فيتعين على علماء وتطبيقيى الأمة الإسلامية الآن القيام بالتحول الكبير فى ملاحقة وسباق الغرب فى العلم والتقنية .

وإذا أدركنا أن إيديولوجيا الإسلام السياسية هى الخلافة التى تحقق وحدة سياسية لكل الأوطان الإسلامية وأن هذه وحدة شعوب أصلا لا وحدة حكام استوجب هذا أن تتحرك عناصر الشعوب الإسلامية دون انتظار تحرك الحكام ، وأوجب عناصر الشعب المسلم فى التحرك إلى وحدة الخلافة هم علماؤها. وإذا استطاع العلميون المسلمون أن ينسوا وطنياتهم فى سبيل إسلام عالمى فسوف يتبعهم فى ذلك أصحاب رؤوس الأموال ويحققون بيت المال للأمة الإسلامية كاملة وأوقاف عالمية للأمة الإسلامية كلها وسيجد العسكريون الإسلاميون أن واجبهم يحتم التسلح بالعقيدة الإسلامية قبل السلاح الحربى وستنشأ أثناء الممارسة خطوات أخرى فى كافة عناصر الأمة .

آفاق تحرك الإسلاميين العلميين :

١ – نسيان الوطنية فى سبيل الدولية الإسلامية .
٢ – تدريب القوى العاملة الإسلامية تدريبا علميا على أحدث مستوى عالمى .
٣ – تحقيق كومنولث علمى ينقل التكنولوجيا المعاصرة ويولد تكنولوجيا إسلامية ويضيف الإيمان إلى التكنولوجيا المعاصرة .
٤ – تخصيص ٤٪ من الدخل القومى بين المسلمين للبحث العلمي .
٥ – تحقيق أسلمة النفط وأسلمة السلاح وأسلمة الحكام .

فالطبقة الحاكمة ومعاونوها الحاليون هم المسئولون عن ضعف المجتمع الإسلامى الحاضر وعن الإستهلاك الترفى فى أماكن والمجاعة فى أماكن أخرى مما يتنافى مع أصوليات الإسلام الأولية وهم المسئولون عن التبعية المعاصرة التى وصلت إلى درجة الاسترقاق السياسى الأشنع من استرقاق العين سابقا .

من هنا يمكن أن تكون الخطوة الأولى فى سبيل تحقيق شعار « أمة إسلامية واحدة ذات رسالة إلهية » هى خطوة العلميين .

وهذه الخطوة يحققها **إنشاء بنك العلميين الإسلاميين** لأن أسلوب العصر هو البنوك الأهلية .

١ – وهذا البنك هو اتحاد أو نقابة عالمية للعلميين والتكنولوجيين

المسلمين . وهذا الإتحاد يضم جمعيات علمية متخصصة على مستوى العالم يتفرع منها جمعيات متخصصة هى نقابات لكل مهنة فى كل وطن على أن تكون هذه النقابة نقابة خاصة خارج نطاق النقابات الرسمية الحكومية .

٢ – وهذا البنك يعمل مسحا شاملا للعلميين الإسلاميين ومسحا شاملا للإمكانات الإسلامية الطبيعية والصناعية التى يمكن للعلميين النهوض بها .

٣ – هذا البنك يحقق تسجيل وحماية وتسويق اختراعات وأفكار ومشاريع العلميين الإسلاميين ومؤتمراتهم ودور نشر إنتاجهم العلمى فى كتب أو دوريات أو أفلام أو نماذج . وحماية حقوق المخترعين والمؤلفين المسلمين .

٤ – اعتبار البحث العلمى من صميم الدعوة الإسلامية وإنشاء الرهبنة العلمية لا الدينية وتعميق عملى لمكانة العلماء كالخلفاء للأنبياء .

٥ – اعتبار الحكام منفذين لا مشرعين. وأن العلماء مفكرين فى ملكوت صاحب التشريع .

٦ – دعوة علماء ومفكرى العالم الغير إسلامى دون السياسيين ومساعدى السياسين إلى الإسلام وسيكون استجابة العلماء واضحة لصالح الإسلام .

٧ – تهجير العلميين الإسلاميين داخليا من دولة إلى دولة فى حدود العالم الإسلامى بديلا عن هجرتهم إلى عالم الغرب مع تهيئة الجو

المعنوى والأدبى والمادى المناسب لهذه العملية .

٨ - توفير البذخ فى جامعات ومراكز بحث الدول الإسلامية الفنية فى سبيل الإنفاق على المراكز العلمية الإسلامية فى الدول الفقيرة .

٩ - منح العلميين جواز سفر خاص يسمح لهم بالتنقل الحر فى داخل العالم الإسلامى وإنشاء مراكز ضيافة خاصة بهم وتأمين اجتماعى خاص بهم يراعى الإنتاج العلمى .

لقد استطاعت الطرق الصوفية الإسلامية أن تكون تجمعات من المتصوفين فوق الحدود الوطنية واستطاعت أن تجعل لهم تكايا فى طول العالم الإسلامى وعرضه واستطاعت أن تنظم لهم نقابات واجتماعات وأعلام وشعارات ومراكز تجمع تغلبت على الفروق السياسية واللونية والعنصرية وعاشت فى كنف كافة الأنظمة الحاكمة المختلفة فهل يعجز العلميون عن تحقيق مثل هذا التنظيم علما بأن تنظيمهم العلمى هذا سوف يسيطر على التجارة والصناعة والزراعة والحكومات عن طريق العلم والتكنولوجيا وسوف يكون له موارد مالية خيالية من الاختراعات ومن بيع وتداول التكنولوجيا وسوف يكون له امتيازات بحق القدرة العلمية الغير محدودة بحدود على الإطلاق .

فليكن هذا التنظيم بمثابة طريقة صوفية جديدة من الطرق الصوفية التى برع المسلمون فى إنشاءها طريقة صوفية الطريق فيها هو أسلمة العلم والتكنولوجيا والهدف فيها هو إعادة وحدة الأمة على أساس من

العلم الديني والدنيوى معا أو على أساس إدخال الإيمان إلى التكنولوجيا .

وليكن هذا بنكا أوراقه المالية هى العلماء المسلمون . وفوائده المتداولة هى الإختراعات والإكتشافات ويكون اللبنة الأساسية فى إعادة بيت مال للأمة الإسلامية وحجر الأساس فى إعادة الأمة .

إن هذه فكرة جنينية تحتاج إلى تفاصيل كثيرة جدا وإلى جهود عملية جبارة يتكاتف عليها أولو العزم من المسلمين الصادقى العزيمة فى إعادة الخلافة مرة أخرى ..

تقنية النفط والسلاح وأنمطة الحكم :

يعانى المسلمون حاليا من ثلاثة أوجاع قاتلة هى النفط والسلاح وأنمطة الحكم . وبالتالى فهم أحوج ما يكونون إلى معالجة هذه الأوجاع بالعلم والتكنولوجيا .

مشكلة النفط : الثروة النفطية فرصة تاريخية وحيدة إذا لم يتم استغلالها بالعلم والتكنولوجيا فلن يرحمنا التاريخ . فهذا النفط مفروض أنه يصبح سلاح تحرير للأرض والعقل المسلم . ولكنه حاليا سلاح تبعية واسترقاق .

فهذا النفط يدير مصانع الغرب ويسرع تكنولوجيا الغرب ويصلح اقتصاد الغرب ويعالج بطالة الغرب ثم يكدس فوائضه فى بنوك الغرب وفوائد هذه الفوائض أيضا .

هذا فى الوقت الذى فشل فيه فى عمل تنمية شعبية لشعوبه وفشل فى عمل وحدة بين شعوبه بل عمل هذه التنمية وتلك الوحدة بين شعوب المستهلكين لا المنتجين .

إن بلاد النفط أصبحت مثل مغارة على بابا وعلى بابا هنا هو الغرب ووصف رئيس أمريكى سابق هو فورد العرب بأنهم لا يملكون هذه المغارة ولكن يجلسون على بابها وردد هذا المعنى سيجموند وزير الخزانة الأمريكى .

هذا العجز عن استيعاب هذه الثروة وجعل الغرب هو الذى يستوعبها هو عجز قطرى فقط يعانى منه كل قطر منفردا . ولكنه ليس عجزا قوميا بمعنى أن مجموع العرب يستطيع أن يخلق قدرة استيعابية لا تقل عن أمريكا وأوربا . إن هذا الاستئثار القطرى لكل قطر بما يملكه مع أنه فى الحقيقية ملكية جماعية عربية أو إسلامية هو تعبير عن أنانيه ورغبة قيادات قطرية فى ممارسة دور العبيد للغرب . والملكية الجماعية لما فى باطن الأرض للأمة الإسلامية منصوص عليه وينبى عليه تشريع الركاز .

والفوائض النقدية النفطية فى البنوك الغربية زودت التبعية للغرب لأن الغرب استعمل هذه الفوائض كقروض ربوية للدول العالم الثالث لشراء بضائع الغرب ذاته . فالفوائض زادت السيولة النقدية للغرب وخلقت مديونية العالم الثالث . وقد صدر الغرب التضخم إلى العالم الثالث والبلاد الزراعية التى لم تكن تعانى من التضخم قبل حقبة

النفط .. ثم ان هذا النفط كرس عملية تجزئة الوطن العربى إلى ٢٢ دولة والإسلامى إلى ٥٣ دولة حتى يسهل ربط كل دولة مباشرة بالغرب وبالتالى يسهل التهامها .

وهذه الفوائض فى بنوك الغرب تتعرض لعملية تآكل مستمر ومتعمد تفقدها كل عام ٢٠٪ من قيمتها بسبب التضخم حتى أصبحت الدول النفطية مثل الدول المقترضة تماما واقعة فى قبضة الغرب أيضا . وعجزت الدول النفطية عن تحويل أرصدتها إلى المنطقة النفطية . ويستمر هذا العجز بصفة يومية عندما تودع الدول النفطية العربية يوميا فى بنوك الغرب ما بين ١٠٠ إلى ٢٠٠ مليون دولار . وهذا دليل عجز عن الأهلية فى استثمار هذا المال ودليل عدم الثقة فى الذات . كأن النفط قطاع خارج الإرادة العربية والسياسة العربية ومندمج فى الاقتصاد المعادى وتتعمد أمريكا انفاقه على تجويع العالم الثالث بالديون الربوية وانفاقه على تسليح إسرائيل وانفاقه على الرشوة والفساد فى العالم الثالث . ثم تصدر التضخم والتجويع والتقسيم والحروب المحلية وقوة الانتشار السريع ثم تجميد أو مصادرة المال نفسه هذا زائد عملية غسيل مخ ضد الدين وضد الوحدة وضد الاستقلال ثم التعجيل باستنفاد هذه الثروة الطبيعية مع ادخار ثروتهم هم من الفحم والغابات . ثم يضيفون إلى ذلك كله حرب التجويع وسلاح القمح .

فيقول وزير الزراعة الأمريكى عام ٧٤ : ليس من مهمتنا أن نغذى العالم . حسنا . ولكن أيضا ليس من واجب دول النفط أن تموّن سيارات أمريكا ولا أن تدير آلات مصانعها .

وإيداع هذه الأموال النفطية فى أمريكا جعل المصارف العربية تعيش بمنطق وتفكير القرن الماضى بدلا من أن تصبح منطقة نقدية عربية أو إسلامية تحمى الأقطار العربية والإسلامية من النهب الشرس الأمبريالى الجارى حاليا .

خلاصة قضية النفط أن الدول النفطية عاجزه عن امتصاص دخل النفط فامتصه لهم الغرب وخلاصة الحل هو أسلمة النفط . وهذه الأسلمة لا تتم إلا بعد التمكن العلمى والتقنى لأنه يحررنا ولأنه يسرع العملية الإنتاجية .

ويجب أن نفهم أن تحرير النفط ليس عملا إدا كما يصوره لنا الغرب : أن الأسلحة التى نملكها فى هذا الصدد هى الحظر وتحريك الأسعار وتحويل الفوائض النفطية . وهى كلها أسلحة دفاع لا أسلحة هجوم وأسلحة سهلة جدا . ففى عام ٥٦ عند العدوان الثلاثى على مصر حاول عمال فرديين سوريين قطع خط التابلاين العراقى المار فى سوريا مناصرة لمصر . كان هذا العمل الشعبى فى حد ذاته هو البذرة الحقيقية للوحدة بين سوريا ومصر بعد عامين اثنين وليست هذه الوحدة من عمل الجيش السورى ولا المصرى .

وفى عام ٧٣ عندما حظرت الدول العربية نفطها فى حزب أكتوبر إلى حين إعلان جدول زمنى للإنسحاب كان رفع هذا الحظر دون تنفيذ الجدول الزمنى المشترط هو دليل للغرب على الطريق الذى أدى إلى كامب ديفيد . وهو الذى أدى إلى انشاء المستوطنات فى الضفة الغربية وإلى ضم القدس عاصمة أبدية لإسرائيل .

إذا كان العرب عاجزين عن استعمال النفط كسلاح حظر أو عاجزين عن رفع سعره فليس مفروضا أن يعجزوا عن استعماله كسلاح وحدة بينهم بتحقيق سوق تعمير وسوق تكنولوجيا وسوق بنوك مشتركة وليس مفروضا أن يعجزوا عن سحب الأرصدة النفطية تدريجيا من أمريكا وأوربا وتوجيهها لليابان إن كانوا عاجزين عن استيعابها محليا . حينئذ سوف يكون هناك معنى لكلمة العرب ولكلمة فلسطين غير المعنى الحالى .

إن اسلمة النفط يستلزم قيام نقابة لمنتجى النفط الإسلاميين بعيدا عن السوق العالمية تراعى مصالح الأمة الإسلامية وتفرض وحدتها .

ويجب الحذر من شرك الحوار العربى الأوربى فهو مناورة أوربية لتحويل التبعية الاقتصادية أو بعضها إلى أوربا بدلا من أمريكا وهى مناورة مفضوحة لأن أوربا وقفت مع أمريكا عام ٨٦ ضد ليبيا ووقفت مع أمريكا فى حرب الخليج وهذه المواقف الأوربية لا يقصد منها إلا منع روسيا من المنطقة وليس خدمة العرب .

أما السلاح : يصنع الغرب سلاحا كل عام بتسعمائة مليار دولار

ونصف هذا السلاح على الأقل يذهب إلى الدول الإسلامية لإستنزاف أموال المسلمين ولمنع الوحدة بينهم ولإثارة حروب محلية فى الخليج واليمن والصحراء ولبنان وكل مكان وللحركات الإنفصالية من شرق وغرب الباكستان وشمال وجنوب اليمن ومن ليبيا ومصر وتشاد وبين دول الشمال الأفريقى . وأنكى من هذا أن يستعمل فى كبت الشعوب وقهرها لحكام مرتبطين بالخارج أو لمحاربة الإسلام باسم الدولة الحديثة أو اسم العروبة أو غير ذلك .

فالسلاح الغربى إلى الدول الإسلامية هو استعمار أشرس أضعافا مضاعفة من الاستعمار الحربى القديم وعلى نفقة الشعوب المقهورة وبأسعار أضعاف سعرها الحقيقى .

وإذا كان النفط مصدر طاقة للغرب فإن السلاح مصدر مال وتكنولوجيا للغرب وعبء سياسى على العرب والمسلمين . وإذا لم يستعمل فى القتل والدمار والانفصال فهو عى الأقل نوع من الاستهلاك الترف من جانب الحكومات والحكام على حساب رغد الشعوب المعدمة . وهو أكبر عامل فى تصدر المجاعات إلى المسلمين والعالم الثالث وأكبر عقبة لحركات التحرير .

وأما أنظمة الحكم : لم يشترط الإسلام نظاما محددا ملكيا كان أو جمهوريا أو غير ذلك ولكنه اشترط وحدة الشعوب نفسها. ممكن أن تتعايش الأنظمة المحلية المختلفة طالما هناك خليفة وجهاز وحدة أمة إسلامية فوق هذه الأنظمة المحلية المتباينة ، فهو كومنولث خاضع لعقيدة وشريعة وبرنامج معلن فى كتاب وسنة وسيرة نبوية .

ولقد ثار الحكام العرب على الخلافة وخلعوها وكان هذا أهم حدث نتج من الحرب العالمية الأولى . واستدعى الحكام العرب الغرب إلى ديارهم ضد شعوبهم . فالاستعمار لم يأت ولكن أستدعى . ثم طور الاستعمار نفسه من ارتباط بهؤلاء الحكام إلى نهب امبريالى للثورات من أول النفط إلى القطن والحرير والكاكاو .

لقد استدعى الحكام الغرب ليعملوا تحته بدلا من العمل تحت مظلة الخلافة . ومن هنا نشأت ردود الفعل الشعبية الإسلامية ضد بعض أنظمة الحكم متراوحة بين تكفير الحاكم وبين اعتباره جهلا من الحاكم بالإسلام السياسى . وأياما تكون الحقيقة فإن أزمة الأمة الإسلامية لا تعود إلى ضغط خارجى من الغرب وأنظمته وفلسفاته بقدر ما تعود إلى جيوب داخلية تحتاج إلى معالجة أو تطهير حتى يكف أو يخف النهب الإمبريالى للعالم الإسلامى .

هنا طرح الشيوعيون والبعثيون أن العيب ليس عيب الحكام وحدهم ولكن عيب الطبقة البرجوازية وأن الحل هو الصراع الطبقى ضد البرجوازية بواسطة العمال والفلاحين . وطرح الوطنيون أن غياب الديموقراطية واللبرالية هى بيت الداء وأن العلاج هو الديموقراطية واللبرالية واعتبروا الشيوعيين والبعثيين دكتاتورية أخرى وعمالة أخرى للجانب الروسى فى الغرب . وطرح الناصريون رأسمالية الدولة ونظام الحزب الواحد حلا وحيدا مقدسا .

ولكننا نرى أن عودة الخلافة كفيلة بوحدة الشعوب وعلاج الجيوب السابقة وتحقيق الحرية الكاملة والإبقاء على أنظمة محلية تناسب كل قطر كولاة محليين . فما يناسب قبائل بدوية فى الصحراء لن يناسب ممالك زراعية مثلا . والجميع ممكن أن يتعايشوا تحت مظلة خلافة تحمل هم الشعب المسلم فيما يسمى الأمة الإسلامية . فالثلاثة وخمسين دولة إسلامية ممكن أن تحتفظ بأنظمة محلية تتناسب مع كل واحدة منها ولكن تكون ثرواتها جميعا من نفط وزراعة وغير ذلك فى خدمة الأمة الإسلامية لا خدمة الغرب وتكون كل العوائد المالية مستخدمة فى تعمير أرض المسلمين وتحقيق وحدتهم ويكون كل السلاح موجها إلى خارج حدود الأمة الإسلامية . بعبارة أخرى يكون هناك تمثيل شعبى للمسلمين فوق أنظمة الحكم المحلية يوجه الثروات والسياسة والسلاح دون تدخل من المحليات . أى حكومة فيدرالية فوق الحكومات المحلية . ويكون طابع هذه الحكومة الفيدرالية هو الإسلام السياسى والاجتماعى والأخلاقى الكامل .

وهذا الاهتمام بالتقنية سوف ينعكس على الممارسات السياسية ذاتها . إذ سوف يتحول النفط والسلاح إلى أداة فى يدنا لا فى يد الغرب .

ولو كان العرب عند قيام إسرائيل عام ٤٨ قطعوا النفط عن الغرب لتغير كل شىء .

ولو كان العرب بعد هزيمة ٦٧ قطعوا النفط بدلا من رشوة دول المواجهة حتى تسكت عن قطعه لتغير كل شىء .

ولو كان العرب بعد حرب ٧٣ نفذوا ما أعلنوه من حظر حتى تنفيذ الجلاء عن الأراضى لتغير كل شيء .

لو كان هذا السلاح فى يد دولة غربية وبالتالى دولة تكنولوجية تستخرج نفطها بنفسها وتنقله بنفسها وتصنعه بتروكيماويات بنفسها لركع عالم الجبارين تحت أقدامها .

ولكن نفط بلا تكنولوجيا جعله سلاحا للغرب وجعل العرب بوابين عليه . على حد تعبير سيجموند وزير خزانة أمريكا . ونفط بلا تكنولوجيا حوله إلى مادة سامة عن طريق الإنفاق الإستهلاكى المتمثل فى ترف الأفراد وفى شراء الحكومات لسلاح الغرب .

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى ـــ ١١٢٣١

هذا الكتاب

نحن فى عصر حلت فيه العلمية محل الإيديولوجية وأصبح العلم هو المرجع لا الايديولوجية وستصبح الا يديولوجيات المعاصرة قريبا اسطورة من أساطير الماضى .

وهذا التطور هو تطور طبيعى وفسيولوجى بعد ما ثبت تخلف وسقوط الايديولوجيات المعاصرة عن تحقيق أمل وحاجة المجتمع البشرى .

ولن يتبقى من الايديولوجيات ولا الفلسفات المختلفة إلا الدين فقط .

قد تتغير الصورة التى يطرح بها الدين على الناس . فالميتافزيقا قد يحل محلها علم الاجتماع باعتبار الميتافزيقا من تخيلات عقل الإنسان بينما علم الاجتماع هو استقراء للطبيعة .

ولقد كانت الايديولوجيات أيضا من مشطحات عقل الإنسان عندما يخلو بنفسه أو ينفعل بمعنى معين أو كرامة مستثارة ولم يكتشف الإنسان ضيق مساحة الايديولوجيا عامة إلا عندما استقرأ الطبيعة واتساعها اللانهائى .

هذا الاستقراء للطبيعة لم يتم ولا يتم إلا بالعلم ولا يسخر الإنسان الطبيعة لخدمته إلا بالتقنية .

